الرياض

حروف و افكار

إسرائيل.. المتضرر الوحيد من نجاح القمة العربية

منح الصلح

من أجل علاقة عربية جديدة مع الغرب تنعقد في أواخر آذار قمة بيروت للملوك والرؤساء العرب، فهي إذاً قمة مهمة من المفترض أن تستعد لها الدول العربية جيداً بأفضل ما عندها من عزيمة وجدية ورؤية.

إن المتضرر الأساسي من نجاحها هو إسرائيل التي تراهن على الدخول بين الغرب والعرب أكثر مما هي فاعلة حتى الآن مستغلة أجواء ما بعد الحادي عشر من ايلول لتحصيل أكثر ما يمكن من المكاسب على حساب الحقوق الفلسطينية والعربية.

إن روح قمة آذار في بيروت سوف تتأثر ايجابياً بلاشك من أنها تنعقد في بلد عربي تم فيه نصر على إسرائيل بإخراجها من أرضه. كما سوف تتأثر، ويجب أن تتأثر بكلام ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في قمة دول مجلس التعاون الخليجي في مسقط حيث طالب العرب بأن ينفذوا منا يقررونه وأن يكفوا عن اعتبار عدم الخلاف بحد ذاته انجازاً.

وكم هو حري بأن تنطلق من هذه القمة نظرة متطورة إلى العمل العربي المشترك تحوله الى عمل مؤسساتي بالمعنى الصحيح. فإن ما بيد العرب من هذه المؤسسات يكفي أن يعطي لوجودهم في العالم حجماً مختلفاً اذا هم تعاملوا مع هذه المؤسسات بالروح والعقلية المطلوبين.

لقد أعلن لبنان ان جميع الرؤساء العرب مدعوون للقمة.

وصرح وزير خارجيته محمود حمود ان لبنان بكونه بلداً مضيفاً سيترك للأمانة العامة للقمة تحديد جدول أعمالها بالمشورة معه، وبالتالي فستكون هذه القمة المدعومة من مصر وسوريا ولبنان والسعودية وفلسطين مطالبة بنجاح استثنائي يجعل من العمل العربي مؤسسة فعالة على غرار ما نشاهده في أوروبا التي انتقلت من حربين عالميتين الى طريق الوحدة والتعاون.

ان اول ما سيصدر من قمة تنعقد بهذه الروحية هو رسالة الى اسرائيل وأميركا أن العرب جميعاً ضد جميع أشكال الإرهاب، وعلى رأسه الإرهاب الإسرائيلي في فلسطين، وأن العرب لم ولن يتركوا الفلسطينيين منفردين في مواجهة إسرائيل.

ولابد ثانياً من أن تعمد القمة الى وضع آلية لحل الخلافات العربية مع ايران حول الجزر الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى بالأخص، فتشيع نتيجة ذلك الاطمئنان على ان العلاقات الايرانية الخليجية تتقدم بشكل ايجابي.

ويأتي الاهتمام بإيجاد حل للحرب في جنوب السودان كضرورة ملحة لمنع تقسيمه.

كذلك لابد من آلية لمساعدة الصومال اقتصادياً منعاً لامكانية تحوله إلى أفغانستان ثانية.

على أن أهم ما يفترض في قمة تنعقد في هذا الظرف من الناحية العملية المباشرة هو مساندة الوضع الاجتماعي والرسمي والنضالي الفلسطيني بكامل الدعم المادي والمعنوي.

إن لبنان يستطيع أن يأخذ من هذه القمة الكثير إذا هو عرف كيف يجعل منها غطاءً عربياً لمقاومة "حزب الله" ضد إسرائيل وتحوله بعد التحرير الى حركة سياسية فاعلة ومشاركة في المؤسسات الشرعية اللبنانية.

كذلك من طبيعة مرحلة العمل العربي المشترك في منظور قمة عربية تنعقد في هذا الظرف، البدء بإعادة تدريجية للعراق الى المؤسسات العربية بما يساعد الشعب العربي في العراق من مواجهة حدة الحصار والخروج من عزلته.

ولاشك ان وزراء خارجية الدول العربية قادرون على الإفادة الى اقصى حد من أن هذه القمة تنعقد للمرة الأولى وعلاقات الدول العربية بغالبيتها ممتازة مع الدول العربية لأسباب موضوعية، منها ادراك الأميركيين ان الاعتدال العربي هو الضمانة الأساسية الوحيدة للاستقرار في المنطقة، وأن أي خلل في قدرة هذا الاعتدال انما سببه خلل في التعاطي الأميركي مع المنطقة المنطلق من مصالح اسرائيل الضيقة هذا مع أن العرب بعد 11ايلول على مختلف أنظمتهم وقطاعاتهم اعتبروا ان الاعتداء

على واشنطن ونيويورك هو أكثر من اعتداء على أميركا، فهو تهديد للاستقرار العالمي بأكمله، وخصوصاً مجالات الانفتاح بين الشرق والغرب والديانات والحضارات التي كانت قد قطعت شوطاً ايجابياً بسبب حكماء العالم، وخاصة البابا يوحنا بولس الثاني الذي دعا المسيحيين ان يصوموا آخر يوم في رمضان مع اخوانهم المسلمين، معطياً لفكرة حوار الحضارات والديانات اندفاعة كانت في أمس الحاجة الى تبن لها من أكبر مرجع غربي مسيحي في العالم.

وللتاريخ فإن البابا بطريقة تصرفه بعد 11ايلول تميز بنظرة تاريخية انطلقت من الشعور بأن ترك الحساسيات والعصبيات والصراعات الإسلامية ـ المسيحية والغربية ـ الشرقية على غاربها سوف يخلف جراحات تتجاوز النواحي السياسية والعسكرية، وسيكون دافع الثمن لا دين بعينه بل كل الأديان، ولا حضارة بعينها، بل كل الحضارات، ولن يكون القوي بأقل تضرراً من الضعيف، ولا الغني من الفقير، ولا المتقدم من المتخلف.

ومما يُروى عن البابا الذي عُرف بسعة زياراته لبلدان العالم بحيث لم يترك قارة الا وجال فيها، انه بعد هذه الزيارات رأى كيف أن الإنسان كإنسان لايزال معذباً في كل مكان وأنه رغم التفاوت الكبير في أوضاع الشعوب والطبقات، فإن الإنسان سواء في أوروبا أو في افريقيا أو في آسيا أو في أميركا يعيش في وحدة أمام مشاكله النفسية والروحية والمادية على حد سواء ومملكة البشر لاتزال بحاجة الى رحمة الله والى محبة الإنسان للإنسان.

إنه برغم الظروف الصعبة التي تعانيها شعوب اللغة العربية وقياداتها، ورغم أن هذه الظروف ناشئة عن عدم تفهم عالمي لقضاياها، بل انتفاع في بعض الحالات بمكسبها فإن قدرة العرب مجتمعين على مواجهة المصاعب قوية ايضاً ومن أسباب قوتهم ان لهم مؤسسات جامعة وروابط مؤسساتية قادرة، اذا ما تم تفعيلها على وجه صحيح، على مواجهة الصعوبات بفعالية وقدرة على تذليلها.

عندما نشأت جامعة الدول العربية، كان ظن المسؤولين العرب أن هناك مسألتين عاجلتين اذا هم نجحوا في معالجتهما، فإن كل المسائل الأخرى ستحل.. الأولى هي المسألة الفلسطينية، والثانية المسألة اللبنانية. كان يقال في ذلك الزمن انه إذا تمكن عرب فلسطين من أن يتغلبوا على اليهود فيها، وكانوا قلة، فإن فلسطين ستسلم ويسلم الفلسطينيون.

وكان يُقال أنه إذا نجحت الصيغة اللبنانية التوافقية وكانت ممثلة في ذلك الحين بسياسة الميثاق الوطني اللبناني، فإن لبنان مقبل على أن يتحول الى جنة. ولكن مع الزمن ثبت أن هناك مشاكل أخرى يعاني منها عرب في أقطار متعددة.

شيء واحد كان يُعتبر أن فيه الخلاص ومايزال، وهو الدور الذي تلعبه المؤسسات في أن تقدم الحلول للانقسامات الموجودة بين الدول والجماعات، وفي أن تواجه بالعرب مجتمعين أخطاراً تهددهم، وأهمها الفكر الصهيوني والتنظيم الصهيوني والدولة الصهيونية.

وكان من الصعب افهام العالم أن الصهيونية كالاستعمار مؤسسة ينبغي أن يحاربها العالم ذلك لأن الاستعمار هو طمع بكل الشعوب. أما الصهيونية فهي طمع مختص بالعرب وحدهم. لذلك كُتب على العربي أن يعاني وحده خطراً لا يشعر به غير العربي، لأن عدوه عدو له وحده ولا يرضى أرضاً غير أرضه هو ولذلك كُتب على العربي ان تبدأ مشكلته قبل غيره وأن تدوم بعد أن تكون قد انحلت مشاكل آخرين والشعوب الشاكية في أوضاعها.

لكن على الرغم من ذلك، استطاع العرب أن يتقدموا ولو غير مسموع صوتهم كغيرهم، فتكون لهم دول مستقلة وجامعة دول عربية جامعة وقضية توحدهم جميعاً ومؤسسات تكون فاعلة وجدية بقدر قدرتهم على تفعيلها والتعامل الجدي معها.

لقد جاء يوم هو اليوم الذي نحن فيه شعر فيه العرب مجمعين على انهم اذا ارادوا أن ينجحوا ويتقدموا، فما عليهم إلا أن ينقلوا المؤسسات التي بيدهم. وهذا هو سر الصدى الكبير الذي كان لكلمة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في قمة دول مجلس التعاون الخليجي في مسقط التي يرددها اليوم كل عربي لمناسبة قمة بيروت.

فعندكم أيها العرب جامعة الدول العربية، فكونوا على مستواها.